قرأت العدد الماضي من "الآداب"

محمود امين العالم

هكذا تكلم... المثقفون العرب

العدد الماضي من « الآداب » ليس صفحة من كتاب الماضي ، بل هو بشارة بالمستقبل . انه نبضة من قلب عربي موحد تجري فيه ومنه دماء جديدة .

أقل ما يقال في هذا العدد هو ما قالته عنه « الآداب » بتواضع : « عدد وثائقي .. قصدنا الى جعله مرجعا هاما لمبادرات الكتاب العرب في مواجهة المعركة » على انه في الحقيقة ليس مجرد وثيقة تسجل موقفا ، بقدر ما هو كذلك « قيمة جديدة » تبزغ من ارض الثقافة العربية ـ على تنوع اتجاهاتها ومدارسها ـ وتفرش بالوضوح والاصرار والجسارة والبهجة الواعية الرصينة طريق النضال العربي .

حقا ، ان العدد أصداء فكرية وأدبية لواقع عربي جديد هو واقع معركة ٦ اكتوبر ، ولكنه كذلك اسهام فكري وأدبي جاد في اغناء هذا الواقع وتنويره ، وتعميق دلالاته ، وتمديد آفاقه ، وتأصيل قوانين حركته ، وضمان تجدده المتصل .

في « الآداب » تعودت ان أتنقل بين مواقف فكرية مختلفة ، بل متناقضة ، تتضمنها الدراسات والمقالات والتعابير الادبية المتنوعة . كانت « الآداب » جبهة تحتدم بألوان من الصراع بين هذه المواقف ، وان كان يجمعها ـ بشكل عام ـ رؤيا قومية موحدة . وكانت هذه ميزة من ميزات « الآداب » في مرحلة لم تتبلور فيها بعد رؤيا فكرية موحدة .

وفي هذا العدد ، رحت أتنقل من المحيط الى الخليج ، بين أبرز ممثلي الثقافة العربية المعاصرة ، بكل ما بينهم من خلافات واختلافات فكرية أعرفها ، فأكاد أحس انني أتنقل في اطار لوحة واحدة ، مهما تنوعت خطوطها وظلالها وملامح تشكيلاتها ، وايقاع حركتها ، فهي تتكامل لتصوغ رؤيا قومية ، نضالية ، اجتماعية ، انسانية موحدة . وليست هذه ميزة جديدة من ميزات هذا العدد من « الآداب » فحسب ، بقدر ما هي معنى من معاني ما يحدث اليوم في حياتنا العربية .. انه بلورة الفكرة ، والقيمة ، والسلوك ، والطريق ... على نحو رفيع حقا .

التقاء حميم رائع بين كل قوى الفكر والادب ، توحدهم ارادة النضال والتحرير والفعل الخلاق ، برغم تنوع الاجتهادات والتنغيمات والمبادرات هنا وهناك . الجانب القومي النضالي هو اللحن الموجه الاساسي ، ثم .. تتنوع الكفاءات والمواهب والرؤى الفكرية والاجتماعية ، في غير تناقض حاد ، لتشخيص ما حدث ، وما ينبغي ان يحدث ، لاستخلاص الدروس ، وتحديد الواجبات ، وشحذ أسلحة المستقبل . قد تعمق الرؤية الاجتماعية هنا ، أو تخفت هناك ، قد ترتعش بالغنائية العذبة او بالعقلانية التحليلية المجردة ، أو قد تتناسج العقلانية بالغنائية لتخرج لنا رؤيا تجمع بين التحليل والتركيب ، بين الواقع والممكن والضروري ، بين التشخيص والابداع . وقد ترف البهجة الخالصة هنا ، او ترتفع عيون الدعوة الى الحذر واليقظة هناك ، على انها جميعا أهازيج قلب عربي ، موحد الوعي والوجدان والارادة ، تتضافر لتنسج طريق النضال ، وضرورة استمراره ، وتؤكد دور الثقافة العربية الواعية الموحدة في صناعة الغد العربي .

لقد كانت المعركة وعدا حيا بالحرية في حياتنا العربية ، ولهذا كانت كذلك عيدا للثقافة التي هي ـ في أصالتها ـ منبر للحرية . وكان هذا العدد من « الآداب » ـ بهذا المعنى ـ عيدا للثقافة العربية . لقد نفضت الكلمات عنها رماد الاحزان والانتظار الممض والترقب العقيم ، وتحركت بالوعي والبهجة لتشارك وتعايش صناعة الحرية مع جنودنا البواسل على خطوط النار . أنضر ما قرأت لادونيس ومحمود درويش وانسي الحاج وغادة السمان وميشال سليمان وعبد المعطي حجازي ونزار قباني وسليمان العيسى وحنا مينه وشفيق الكمالي وعبد الرزاق عبد الواحد ومعد الجبوري ومحمد الهادي بو فرة ومحمد الفيتوري وأحمد الفقيه وعشرات غيرهم . الحكمة الغنائية الرفيعة والاستشراف الواعي لما يكون وما ينبغي ان يكون . ما اريد ان يجرفني الحماس بعيدا عن ارادة كتاباتهم نفسها .. أن نعرف .. أن نعرف بحق وبعمق ، وان نستشرف ، وان نغزو ، نغزو المستقبل وأن نتحقق ونحقق ، وان نستيقظ ونتيقظ ونحذر ، وان نواصل انطلاقنا لما بدأناه .

ماذا قال المثقفون العرب .. في العدد الماضي من « الآداب » .. عفوا .. ماذا قالوا في مواجهة معركة التحرير التي بدأناها في ٦ اكتوبر ؟

نحن في معركة تحرير شاملة ، لسنا في ـ ولا ينبغي ان نقف عند ـ معركة تحريك لقضيتنا ، او تسوية جزئية لها .. انها معركة حضارية . ذلك ان « بدء تحرير الارض العربية في سيناء والجولان من الاحتلال الصهيوني يعني بدء تحرير الانسان العربي من احتلال التخلف والانسحاق وعقدة النقص الذي حرمته طوال ربع قرن من استغلال طاقاته لتحقيق ذاته » (سهيل ادريس) . اننا قد عبرنا الهزيمة (توفيق الحكيم) عندما عبر جنودنا البواسل قناة السويس وخط بارليف وحدود الجولان . « انها ثورة وليست معركة فحسب .. هي رمز لثورة الانسان العربي على نفسه وتجاوزه لواقعه وتحديه لمخاوفه ومواجهته لاشد قوى الشر عنفا وتسلطا » (نجيب محفوظ) ، انها « ثورة الضمير العربي على جميع أشكال العدوان والاستغلال والامتهان والتشرد » (عفيف بهنسي) . « انها ولادتنا الحقيقية التي أشعرتنا اننا قادرون على الاخصاب والانجاب » (نزار قباني) . « انها بداية العافية الروحية » (سهيل ادريس) . « عمالنا وفلاحونا وفقراؤنا جميعا يغسلون أيامنا من الوحل ويعطوننا لون الحرية » (أدونيس) ، ولهذا فهي « حرب حضارية » (صالح الحاجة) و « بداية انعطاف تاريخي مهم » (صلاح خالص) من « أجل بناء مجتمع عربي جديد » (ميشال عاصي) . وهكذا « نذهب الى الحرب فنصل الى الولادة » (محمود درويش) ، وما أصدقها رؤيا ميشال سليمان : خلال السنة اللهب « رأيت احدى قرانا يعاد بناؤها » نعم .. بالمعاناة والمواجهة الصلبة الحاسمة سنجدد حياتنا ، سنولد « فلا أحد يولد الا من رماده » (أدونيس) .

ولكن .. من نحارب ؟ هل هذه الطغمة الاسرائيلية التي تحتل أرضنا العربية ؟.. حقا ، ان حربنا هي حرب تحرير لارضنا العربية التي تحتلها هذه الطغمة العنصرية الباغية ، ولكن .. لا خلاف بين مثقفينا على انها حرب ضد الصهيونية العالمية والامبريالية الاميركية . فمحال ان يخدعنا شيء عن حقيقة الرابطة الحميمة بين اسرائيل

الصهيونية واميركا الامبريالية . ذلك ان ما يربط بين اميركا « هذه الجيفة المدهونة بالذهب » (أدونيس) و « الصهيونية اقوى من ان يفصمها الدم او تأنيب الضمير أو ضغط من اي نوع » (سامي مهدي) . وهي حرب من أجل الحرية لنا وللعالم ، والسلام لنا وللعالم . « فنحن نريد النصر لمجد الحرية ، لا لغرض الاستعباد » (انسي الحاج) . وهي حقا حرب سلام لانها انفجار المساليين في وجه من يرفضون السلام (انسي الحاج) ولهذا فاصدقاؤنا هم كل قوى التقدم والاشتراكية والسلام في العالم . وما أعمق الوشائج التي تربطنا بهم وخاصة بالاتحاد السوفياتي . ما أعمق الوشائج بين اكتوبر العربي واكتوبر السوفياتي . « كم هي متينة علاقة اكتوبر العربي باكتوبر السوفياتي . يكفي انها قبل كل شيء ، علاقة ثورة بثورة » (سهيل ادريس) « يد العربي والسلاح السوفياتي ، عندما التقت اليدان تفجر النصر » (سهيل ادريس) . وهي حرب تتوحد فيها كل القوى الوطنية والقومية العربية على اختلاف مواقعها ومصالحها السياسية والاجتماعية . تختلف وتتنوع المبادرات ولكنها تتلاقى وتتضافر . العراق وليبيا والجزائر تؤمم البترول ، وبقية البلاد العربية المنتجة له تخفض من ضخه او تمنعه عن الدول المساندة للعدوان . وتشارك القوات المغربية والعراقية والجزائرية مع القوات السورية والمصرية في المعركة . وتتحرك فصائل المقاومة الفلسطينية داخل الارض المحتلة ، وتحشد الجزائر اقتصادها كله للمعركة ، وتنهال المساعدات والمعونات الحكومية والشعبية من مختلف انحاء الوطن العربي لدعم المعركة والمشاركة في أعبائها . انها اذن حرب قومية ثورية ، على ان « القوى العربية الثورية قادرة على تعميق المحتوى الثوري للحرب القومية ، عبر التحالف الثوري الواسع والمنظم لها » (عزيز السيد جاسم) . وهي حرب طويلة .. طويلة . هكذا ينبغي ان تكون . و « قد تتخللها الانتكاسات ، المهم ان يكون النصر حليفها في النهاية » (سامي مهدي) . و « أيا كانت مخططات الاعداء ، فان ثورة عربية جديدة ولدت في المعركة لن تستطيع مؤامرات اميركا واسرائيل القضاء عليها » (عبد الوهاب الكيالي) . ولكن ما أجدرنا ان نهيب بشعوبنا وحكامنا « احذروا تكرار مأساة ١٩٤٨ حين وافقتم على الهدنة واحذروا مأساة عام ٦٧ حين وافقتم على وقف اطلاق النار » (أحمد السقاف) . ان العدو الاسرائيلي الاميركي « لا يريد السلام ، انما يريد الهدنة » (رشاد ابو شاور) . انه فجر الفقراء . « النار حين تتوقف تموت . لا يجب ان تتوقف » (رشاد ابو شاور) حقا « لقد أدت هذه الحرب نتيجتها منذ أول يوم » (أحمد الفقيه) بما حققته من استعادة للثقة العربية . ولكن ما نفع الثقة بانفسنا ان لم تكن وقودا لمواصلة الطريق ؟ ما نفعها لو تحولت الى أهازيج خدر وأناشيد استرخاء وقصائد غفلة ؟ « ان بريق الانتصار شعلة يجب ان تستمر مضيئة » (عفيف بهنسي) . ولهذا فحذار من ان نضخم النصر (بلند حيدري) . يجب ان نبصر بوجه الحقيقة وان نكافح من أجلها . « في ٥ حزيران اعتنقنا الحزن .. وفي ٦ تشرين اعتنقنا الفرح . متى نعتنق الحقيقة ؟ أرسطو قال : ان الجاهل يؤكد ، والعالم يشك ، والعاقل يتروى . متى نتروى في الحزن والفرح ؟ » (غادة السمان) . واذا كان اطلاق النار قد توقف في ٢٢ نوفمبر ، فان المعركة لم تتوقف . ولا ينبغي لها ان تتوقف ، على المستوى العسكري أو السياسي او الاجتماعي او الثقافي . حذار من اجهاض هذه الانطلاقة الثورية . حذار من دواليب المساومات والتسويات والمباحثات والمماطلات البليدة العقيمة التي تنسجها اميركا واسرائيل . ليكن وقف اطلاق النار مجرد التقاط أنفاس ، لا يفقدنا الاستعداد والحذر واليقظة ... ثم فلنواصل النضال حتى يتحقق النصر ، حتى يكتمل ازدهار الكيان العربي . لن تغني مائدة المباحثات شيئا في تحقيق الهدف ان لم يكن منطق حوارها هو منطق النار والانتصار المتحقق .

مهما رفعت اميركا راية السلام في يد سمسارها كيسنجر ، فهي باليد الاخرى ـ يده الاخرى ، يدها الاخرى ـ تسلح اسرائيل . وبأفخاخها الالكترونية وأصابعها الرجعية ، تتآمر وتناور ضد الثورة العربية . انها تهدف الى عودة الصف العربي الى التمزق . تهدف الى اجهاض ثورة التحرر العربي في مضمونها التحرري والاجتماعي على السواء ، تهدف الى فصم علاقاتنا بالاتحاد السوفياتي والبلاد الاشتراكية ومختلف قوى التقدم في العالم . تهدف الى دعم نفوذها الاستغلالي في بلادنا العربية . ان ساحة القتال هي التي وحدت قوى الامة العربية ، وهي التي حركت معنا ـ على انحاء ومستويات مختلفة ـ قوى عالمية غير تقدمية ، تحركت معنا بالمصلحة فضلا عن القوى التقدمية التي تتحرك معنا بالمبدأ . ان توقف النضال دون تحقيق الهدف التحريري سوف يفجر التناقضات غير الاساسية بين قوى الامة العربية ، وسوف يضعف من تحرك هذه القوى العالمية معنا ، وسوف يدعم بيننا مواقع الامبريالية والصهيونية والرجعية ، وسوف يخلخل فينا روح الثورة والاقتحام والتفتح والثقة التي ولدتها معركة ٦ اكتوبر . هذا ما ينبغي ان نعيه . ان معركتنا ليست معركة ارض فحسب ، بل هي اساسا معركة انسان ، معركة حضارة ، معركة تقدم ، معركة حرية ، معركة سلام . حذار ان نوقفها ، ان نجهضها دون ان يتحقق هدفها . فلنواصل نضالنا العسكري ، والسياسي والاجتماعي ، ولنواصل نضالنا الاقتصادي بسلاح البترول ، ولنواصل دعم صفنا القومي العربي بالعمل الفعال المشترك ، ولنواصل تعبئة وتنشيط وتحريك جماهيرنا الشعبية . آن ان تخرج الجماهير العربية الى الساحة بالمشاركة الفعالة ، بعد ان طال غيابها . انها « لا زالت حتى الآن تحت الوصاية » (ادريس الخوري) . ان المعنى الحقيقي لحرب ٦ اكتوبر ليس مجرد اختبار لقدرة الانسان العربي على القتال ، بل لقدرة الانسان العربي على صنع الحضارة . ان العامل والفلاح والمثقف الذين صنعوا النصر في الايام الاولى من ٦ اكتوبر ، في ساحات الجولان وسيناء ، قادرون على مواجهة كل مشكلات المجتمع العربي ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والادارية والثقافية ، قادرون على العطاء الخلاق ، على المشاركة الخلاقة . انهم العمق الحقيقي والضمان الحقيقي للنصر بمعناه الحضاري الشامل . ولا نصر لنا بغير ذلك . « ولا بد ان ننتصر » (رجاء النقاش) مهما كانت الاعباء والتضحيات .

هكذا تكلم المثقفون العرب . وهكذا يتكلمون ، ادراكا منهم لمسؤوليات الثقافة ، والتزاما منهم بهذه المسؤوليات . ان ٦ اكتوبر لم يكن مفاجأة لهم او للامة العربية . نعم « النصر .. الذي تم لم يكن مفاجأة ، كما تردد » (منح الصلح) . لعلهم لم يعرفوا اليوم ولم يحددوه تحديدا . ولكنهم طالبوا به وأرادوه ، وناضلوا من أجله ، ومهدوا له . ليس صحيحا ان الادب العربي منذ ٦٧ حتى ٧٣ « كان أدبا قصير النظر ، مفرطا في التشاؤم ، متحاملا على الانسان العربي » (رشيد ياسين) . كان فيه بغير شك جنوح الى التجريد ومغالاة في الاحساس بالمرارة ، وتعذيب الذات ، ولكنه حتى بهذا نفسه كان تعبيرا عن رفض واحتجاج وتطلع في غمرة اليأس المسيطر . بل كان في مغالاته التشاؤمية أحيانا بحثا عن خلاص ، ودعوة معكوسة الى فعل ، الى تحد ، الى تخط ، الى عبور . ولكن كان كذلك في أدب ما بعد ٦٧ ما يضيء النفس ، ويحفزها ويشحذها ، ويملأها وعيا وثقة وجسارة . بل لقد سادت روح الغضب والانتقاد والتحريض على الفعل الخلاق ، وتفوقت في بعض التعابير الادبية ـ كالمسرح خاصة ـ على روح الحزن والضياع والتجريد المطلق والاغتراب . لقد كان ادب ما بعد ٦٧ في مجمله وفي تنويعاته أدبا مبشرا بالبرق ، صلاة حميمة للمطر المطهر للارض والانسان . كان بعضها تنفيسا تطهيريا ، ولكن بعضها كان بناء للثقة وجسرا الى الفعل الخلاق ، وتمهيدا واعيا لما تحقق في ٦ اكتوبر . كان الادب العربي في حوار دائم مع الحرب

ـ التتمة على الصفحة ـ ٦٦ ـ

قرأت العدد الماضي من الآداب

ـ تابع المنشور على الصفحة ـ ٨ ـ

على حد تعبير غالي شكري . وكانت القصيدة العربية « في رأس المقاتل العربي » (فاضل العزاوي) وهو يقاتل في ٦ اكتوبر . لهذا لم تكن حرب ٦ اكتوبر مفاجأة . بل كانت تجسيدا لجهود الانسان العربي في الادب وفي غير الادب . ان ٦ اكتوبر هو مرحلة صاعدة من مراحل النضال العربي في مختلف الجبهات . لست أستطيع ان اقول مع يوسف ادريس انها أول حرب تحرير يخوضها شعبنا . فبصرف النظر عن النتائج ، لسنا نستطيع ان نعمل كل مجاهداتنا الشعبية الرائعة عبر تاريخنا الحديث ولا أقول القديم . لا أتكلم عن الثورات العربية ، وانما اتكلم عن ٤٨ ، أليست زاخرة بالبطولات برغم كل شيء ، أتكلم عن ٥٦ . ان الوجدان العربي الذي خاض حرب ٧٣ هو ابن هذه الايام المجيده عام ٥١ ، ابن المقاومة الشعبية المسلحة في بور سعيد ، ابن الامتزاج الرائع في تلك الايام بين القوات المسلحة والجماهير الشعبية ، ابن التحدي الشامخ للاستعمار العالمي في عدوانه الثلاثي ، وفي مؤامراته التالية ، ابن تأميم القناة ، وتأميم الشركات الاحتكارية ، واجراءات التأميم المجيدة عام ٦١ ، ابن يومي ٩ و ١٠ يونيه برغم هزيمة حزيران ، ابن العمل السياسي والاجتماعي خلال حكم عبد الناصر ، ابن معارك المقاومة الفلسطينية ، في جنوب لبنان ، وفي أغوار الاردن ، وفي غزة ، ابن حرب الاستنزاف في عامي ٦٩ ـ ٧٠ ، ابن شدوان والجزيرة الخضراء ، ابن العمال الذين حركوا الصواريخ الى جبهة القناة ، والجنود والضباط الذين سيطروا على آلياتها ، ابن المهندسين والطيارين والجنود الذين تدربوا واستعدوا ، ابن الذين صنعوا من القطاع العام في بلادنا قاعدة اقتصادية للتقدم ، ابن حركات الطلبة ، وابداع الادباء والفنانين ، ابن معركة اليمن ، وثورة اليمن الديمقراطية ، وثورة ليبيا ، ومجازر ايلول ، والصراع في السودان ، وابن الانفتاح الديمقراطي والتقدم الاجتماعي في سوريا والعراق والجزائر ، ابن الحوار الفكري المحتدم في لبنان .. أن ٦ اكتوبر هو نبتة شرعية لتاريخ عريق من الدم والعرق والابداع العربي . لن نفهم التاريخ بغير امتداداته الحية العميقة ، وقوانينه المتصلة النامية . ان ٦ اكتوبر هو امتداد خلاق بغير شك لسنوات وخبرات سبقته هي جزء من تاريخنا العزيز . وهو كذلك نقطه انطلاق جديدة نريدها ان تكون امتدادا لما بعدها في كل جوانب حياتنا : ان يتم تحرير الارض العربية المحتلة ، وتحرير الانسان العربي من التخلف والاستغلال والقهر ، ان يتحقق الانطلاق الحضاري الشامل لانساننا العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا . ليس ما تحقق في ٦ اكتوبر معجزة ، بداية مطلقة بغير اسباب . ان اسبابها مركوزة في أعماق نضال جماهير أمتنا العربية ، في أشواقها وارادتها ونضالاتها في مختلف المجالات . لقد كانت مواجهة ٦ اكتوبر « تجسيدا حيا وشريفا للاتجاه الذي ظل نبض الوطن والقوى الوطنية يدق فيه خلال السنوات الماضية ، وكانت دقاته عالية تطالب بالاعداد للحرب وحشد كافة الطاقات ليوم التحرير » (فريدة النقاش) . حقا ، ان ٦ اكتوبر هو أول صدام قومي شامل عريض مع قوات الاحتلال الاسرائيلي ، مع الامبريالية الاميركية ، وهو صدام يحقق بمواصلته ، وتحقيق اهدافه التحريرية ، الى انطلاقة حضارية شاملة لامتنا العربية . ولقد حققنا به حتى اليوم اعادة الثقة بأنفسنا ، بقدرتنا على الحوار مع العصر بأسلحته وتصوراته وقيمه . ولكن طريقنا ما زال طويلا . أرضنا لم تتحرر بعد . ما تزال قدراتنا وطاقاتنا اكبر مما برز منها . ما زال أمامنا شوط كبير من النضال على المستوى العسكري والسياسي والاجتماعي والثقافي . ما أروع البطولات التي تحققت ، وما اكثر الشهداء ، ولكن الطريق ما زال طويلا شاقا . باسم هذه البطولات وباسم هؤلاء الشهداء ينبغي ان نضاعف من يقظتنا ووعينا واصرارنا وجسارتنا لمواصلة الطريق الشاق . باسمهم ينبغي ان نتسلح بالعقلانية ، بالعلم ، بالقدرة على التخطيط الدقيق ، والمبادرة التي لا تتوقف . حذار « ان يطغى الجانب العاطفي على الجانب الفكري في هذه المعركة المصيرية » (عبد الكريم غلاب) .

وهنا يأتي دور الكلمة .. لا الكلمة الادبية فحسب ، بل الكلمة الفكريه كذلك . يقول نجيب محفوظ في بعض دروسه « لسنا الآن في حاجة الى فلسفة » . لعله اراد ان يقول : لا ينبغي لنا ان نغالي هذه الايام في ابراز خلافاتنا النظرية التي يمكن ان تفجر تناقضات غير رئيسيه في جبهة النضال . هذا حق . ولكن ما أحوجنا الى الفلسفة ، الى الفكر النظري ، الى اعمال العقل ، اعمال الفكر ، الى الوعي بالحقائق ، والوعي بالمنهج الموضوعي للنضال . كيف نعي ، كيف نعرف ؟ بالكلمة ، بالكلمة الواعية المضيئة ، الكلمة الموضوعية النابعة من خبرة ودرس ، بالحوار الديمقراطي الملتزم . وراء السلاح فكر ، وراء الاقتحام فكر ، وراء العبور فكر ، وراء البطولات فكر ، وراء الاستشهاد فكر . فكر خطط ودبر واقتحم وعبر . فكر افتنع وتحمس وحارب ، واستشهد . والفكر حوار واجتهادات من اجل الصحيح والاصح .

وما أحوجنا كذلك الى الكلمة ـ الشعر ـ الفن التي هي ضياء الجسد والفكر والعقل جميعا في المعركة المتصلة . الفن والادب فكر وجداني ان صح التعبير . هو شحنة فكرية معبر عنها تعبيرا وجدانيا أدبيا او فنيا . وعندما يطالب توفيق الحكيم بايجاد عمل يدوي له يشارك به في المجهود الحربي، فليس معنى هذا رفضا للكلمة . فكلمات توفيق الحكيم هي بعض أسلحة الاقتحام . ومن الخطأ ان نقول « ان الفعل أكبر من حجم الكلمة » (محمد عمران) . ذلك لان الفعل هو كلمة تجسدت ، وعي يتجسد . حقا ، لقد « كنا نمارس السيطرة على الواقع وتحويله بممارسة السيطرة على الالفاظ وتركيبها » (ادونيس) في كثير من ادبنا وفكرنا ، ولكن بعض هذه السيطرة على الالفاظ وتراكيبها معنى من معاني السيطرة على الواقع ووسيلة لفض اسراره ، وخاصة ان كانت الالفاظ وتراكيبها ذات دلالة نابعة من خبرة حية عميقة . ليست المسألة « ان نفاضل بين العمل والكلام ، وانما ان نحقق التكامل الجدلي بينهما » (ادونيس) . وفي هذه المرحلة من حياتنا ، ما أشد الحاجة الى احترام الكلمة ، لا مطلق الكلمة ، بل الكلمة الدالة ، المعبرة عن حقيقة ، عن خبرة حية ، انها بهذا تكون فعلا او تمهيدا لفعل ، لانها نابعة من فعل ، واهابة بفعل اكبر وأعمق . ان « الفن في ذاته يتضمن الفعل ، يتضمنه ويبدعه ويسبقه ويبقى بعده » (انسي الحاج) « خيط يصل بين القصيدة والرصاصة » (أدونيس) . وعندما يطالب توفيق الحكم بعمل يدوي ، فهو لا يحتقر الكلمة ، بل لعله اراد بهذا أن يعطي لمعركتنا دلالتها الانسانية « فعندما يشترك الفنان في الحرب انما يعطي الحرب وجها انسانيا » (انسي الحاج) ويؤكد ان حربنا حرب متحضرة بمشاركة الفنان فيها .

على اننا محتاجون الى مشاركة أدبائنا وفنانينا في المعركة ومعايشتهم لها (لويس عوض) لاغناء معركتنا بالدلالة الانسانية من ناحية ، واغناء ثقافتنا وتجديد قيمها وخبراتها من ناحية اخرى . ستكون ثقافتنا سلاحا من أسلحة النصر ، وستكون كذلك غاية من غايات النصر نفسه . « ان كسب الحرب مجرد مقدمة اولى في بعث جيل مفكر جديد » (صالح الحاجة) ولهذا « فان انطلاقة فكرية وفنية وأدبية جديدة لا بد ان تكون على الابواب في العالم العربي » (صلاح خالص) ، على ان القضية ليست ان نتحول من ابداع أدب هزيمة الى ابداع أدب نصر كما يقال ، وانما في ابداع ادب ذي غنى وشمول « فقيمة الادب ليس في انه أدب هزيمة او ادب نصر ، وانما

في درجة الغنى والشمول في الرؤية الفكرية او الادبية او الفنية » (ادونيس) . « ما أحوجنا الى أدب يؤكد القيم الحيوية الاساسية التي يجب ان يتجه اليها النضال القومي ليؤكدها » (رشيد ياسين) ما أحوجنا الى « ادب البناء البطولي » (سامي خشبه) .

على ان كلمتنا لا ينبغي ان تكون لنا وحدنا ، فحربنا ليست لنا ، وانما للعالم . وكذلك كلمتنا . ما أحوجنا ان نخرج الى العالم بحقيقتنا ، بكلمتنا المتحضرة . « لقد استطاعت الصهيونية بما لها من سيطرة على العديد من مراكز الاعلام العالمية ، وما لها من نفوذ مالي واقتصادي ، أن تضلل الكثير من الاوساط السياسية والثقافية لتكسب عطفها ومساندتها . ومن واجبات الاديب العربي في هذه الظروف الحرجة ان ينتبه الى هذه العملية بالغة الخطورة ، وان يفضح مراميها ويكشف اهدافها العدوانية والاجرامية ، وينقذ تلك الاوساط من شبكة الزيف والعهر السياسي ويجعلها مساندة لنا في نضالنا » (ميشال سليمان) . ما أحوجنا لهذا . الى استراتيجية ثقافية شاملة قومية وعالمية جنبا الى جنب مع استراتيجيتنا العسكرية والاقتصادية والسياسية . ألا يدفعنا هذا الى الدعوة الى ندوة لدراسة هذا الامر والسعي الى تحقيقه ؟

هكذا تكلم المثقفون العرب ... بل هذا بعض ما قاله ويقوله المثقفون العرب في هذا العدد من « الآداب » ، في هذه المرحلة من حياة أمتنا . وان ما يقوله المثقفون العرب هو في الحقيقة تعبير عن ارادة امتنا العربية ، وهو ضوء ساطع صادق يفرش لنا بالنور طريق المستقبل .

على ان بعض ما قاله المثقفون العرب في هذا العدد قالوه شعرا . فهل أنا مطالب بأن أقف منه موقف التقييم الفني ؟ ما أعتقد ذلك . وما أستطيع ذلك . شرف القصد فيه وحرارة اللحظة يمنعني ان أقصدى له بنقد او تقييم . انه بغير شك ـ في كثير منه ـ تعبير سريع عن انفعال . وهو في قليل منه ابداع حقيقي . ما أحب ان أسمي . ولكني حريص ان اقول : ان خبرة سنوات التعبير الشعري خلال مرحلة ما قبل هزيمة ٦٧ وما بعدها ، تنعكس انعكاسا غنيا في بعض القصائد . نستفيد من خبرة الصياغات المستحدثة طوال هذه المرحلة لتصب فيها مضامين وفيما ودلالات جديدة ، أحسسها في أشعار عبد المعطي حجازي وعبد الرزاق عبد الواحد ومحمد عبد الهادي بو فرة وجليل حيدر ومعد الجبوري وحسين حيدر والفيتوري وغيرهم. بل أكاد أجد في نثريات أدونيس ومحمود درويش وميشال سليمان أرقى قصائد هذا العدد . على ان ابتسامة عذبة متفائلة واثقة تطل من القصائد جميعا . انها وعد حار بأفق جديد في ثقافتنا وحياتنا العربية .

وبعد ..

هكذا تكلم المثقفون العرب .. ثم ماذا .. الانتظار والكلام الصامت من جديد ؟ لا .. بل المواصلة . ان الكلمة التي قيلت مسؤولية وعمل . ولا حياة لكلماتنا ولا حماية لها بغير النضال من اجلها ، من أجلنا ، من أجل تاريخ أمتنا كله . ان استمرار نضالنا هو استمرار هويتنا العربية (ادريس الخوري) . لا بد من المواصلة ، ولا بد من الانتصار . هذه مسؤولية المثقفين العرب . ان قيمة الانتصارات التي تحققت تكمن في استكمالها ، وان احترامنا وتقديسنا لشهدائنا انما يتجسد في تحقيق الهدف الذي استشهدوا من اجله . لن يكون احتفالنا بشهدائنا بأن نقيم لهم النصب « في كل قرية ومدينة ، ونذكر أسماءهم وأدوارهم ومهنهم » (سليمان فياض) فحسب ، وانما بأن نواصل طريقهم ، طريق نضالهم . هكذا يتكلم المثقفون العرب ، وهكذا يعيشون كلماتهم ويحيونها فعلا متحققا منتصرا .

تحية اجلال للمثقفين العرب وتحية « للاداب » على هذا العدد الحافل من أعدادها ، الذي هو في الحقيقة ليس مجرد سجل لمواقف الادباء والمثقفين ، بقدر ما هو كذلك اضاءة واعية تفرش لامتنا بالوعي والجسارة طريق المستقبل .

محمود امين العالم — القاهرة

مؤسسة نوفل

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة

تلفون : ٢٥٣٢٠٣ - ص.ب ٢١٦١

بيروت - لبنان

قصص للاطفال ـ دار شهرزاد

مجموعة جداتي

مجموعة قصص للاطفال بأسلوب
علمي سلس شيق ، وحكايات لطيفة
يعيش الطفل في جوها الجذاب

١ ـ ١٥ — الثمن ٧٥ ق . ل

مجموعة شهرزاد

حكايات جميلة مستقاة من عالم
الطفل ، لتغذي خياله وتربي فيه روح
المرح وسهولة التعبير

١ ـ ١٥ — الثمن ٧٥ ق . ل

سلسلة الاساطير

مجموعة تحتوي على اشهر الاساطير
العالمية . الشرقية والغربية مكتوبة بلغة
بسيطة ، ومزخرفة برسوم فنية
تقع الحكاية منها في ما يقارب ٦٠ صفحة
من القطع المتوسط

١ ـ ١٠ — الثمن ١٥٠ ق.ل

سلسلة علوم ومعارف

سلسلة جديدة في بسيط العلوم والمعارف معدة
للاحداث المتراوحة اعمارهم ما بين التاسعة
والعاشرة ، والثانية عشرة وهي تعدهم اعدادا
علميا لتفهم اهم المكتشفات والمخترعات في العالم
الحديث بأسلوب مبسط جذاب قريب من الافهام .

١ ـ ١٠ — الثمن ١٥٠ ق.ل